جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - قسم التاريخ

أستاذ المادة: د/ سمير مزرعي السنة الثانية ليسانس

عصر الولاة (96-140هـ/715-757م)

مقدمة: يطلق مصطلح عصر الولاة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد عبد الملك لموسى بن نصير سنة 96هـ/715م إلى غاية قام الدولة المستقلة عن السلطة المركزية (دار الخلافة) في هذه المنطقة بعد ثورات المغاربة كدولة بني مدرار بسجلماسة سنة 140هـ/757م، والدولة الرستمية بتاهرت سنة 161هـ/778م وإمارة البرغواطيين بتامسنا في العقد الثاني من القرن الثاني الهجري، ويدل هذا الإسم - أي عصر الولاة - على تحقيب زمني استثنائي يعكس صورة وقائع اجتماعية وسياسية معينة عاشها مجتمع المغرب الإسلامي والأندلس بكامل فئاته وعناصره السكانية، فمنذ ولاية موسى بن نصير أصبح حاكم البلاد أميرا يقيم بالقيروان يعرف بإسم (الوالي) ويتبع مباشرة للخليفة في دمشق.

1- لمحة عامة حول عصر الولاة في المغرب الإسلامي: تولى والي إفريقية تعيين الولاة في الأندلس في معظم الأحيان وكانوا تابعين لإدارته، وفي أحيان أخرى كانت تتدخل الخلافة الأموية مباشرة في تعيين هؤلاء الولاة، وبعض الأحيان كان أهل الأندلس يعينون بأنفسهم ولاتهم، وينتظرون الموافقة إما من والي إفريقية أو من دمشق مقر الخلافة الأموية، وقد بلغ عدد ولاة الأندلس في هذه الفترة بعد عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق عاصة الخلافة الأموية عشرون واليا تولوا حكم المغرب والأندلس لفترة يقدرها المؤرخون 42 سنة.

إن جل تطلعات سكان المغرب الإسلامي تؤول إلى تحسين وضعياتهم الإجتماعية، إن لم نقل الحفاظ على ما ألفوه زمن فترة الفتح، فالحاجة إلى أساسيات العيش تدفعهم دفعا مستمرا وكلما اقتضت الضرورة إلى اعتبار كل إجراء أو نظام يحدّ من حرياتهم عودة إلى نظام الاستبداد السابق الذي عاشوا تحت ظله قبل فترة الفتح الإسلامي، إن هذا الشعور الصادق والإحساس بالوعي يتولد كلما تسلل قانون جديد إلى كيانهم الجماعي بوصفهم مجتمعا مركبا، ذلك يعني أن عصر الولاة إنما سمي بذلك لإحساسهم بالوصاية التي تنتفي عنها قيمة الأخلاق ومبادئ العدالة، ثم إنّ هذا النظام غير المألوف الذي سيخيم بظلاله القاتمة على المغرب الإسلامي والأندلس لم يقتصر على البربر فقط، بل إن الصراع أخذ بعدا آخر حتى بين العرب القيسيين واليمنيين أنفسهم، فكان ولاة الدولة الأموية في المغرب والأندلس يتعصبون لأبناء جلدتهم، فمثلا كان العرب الذين استقروا في المغرب أيام موسى بن نصير من اليمنية وهم غالبية عرب الفتح فآزروا موسى خلال ولايته ولما عزل وولي يزيد بن مسلم سنة 102هـ طبق سياسة الحجاج العنيفة وخرج وهو يقول:" مالي عذر إن لم أعدل" لأنه كان قيسيا متعصبا لقيسيته وهدفه هو القضاء على نفوذ آل موسى بن نصير.

إن عصر الولاة لهو صورة متكلفة بالغة التعقيد إذا ما حاولنا استقراءها استقراء تاريخيا، غير أن ما يمكن أن نراه ماثلا أمامنا هو أن مجتمع المغرب الإسلامي ظل يستذكر بين الفينة والأخرى معالم تلك المأساة التي تعرض لها كسيلة في عهد عقبة بن نافع التي ارتسمت معالمها في أذهانه ويستحضرها كلما استشعر ملامح إقصائه وتهميشه، لذلك نجد أن هناك عدة أسباب وجيهة وراء ثورات البربر ضد الدولة الأموية وولاتها في المغرب الإسلامي، تعلق أغلبها بالسياسة الجبائية والضريبية والتفاوت بين العناصر البربرية والعربية، وأول حادثة تؤرخ لتلك الثورات هي مقتل والي إفريقية يزيد بن مسلم سنة 101ه أو 102ه بحيث كان هذا الأخير مولعا بسياسة الحجاج في معاملة المسلمين الجدد: "وكان سبب قتله أنه أراد أن يسير في أهل إفريقية بسيرة الحجاج في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة، فإنه ردهم إلى قراهم، ووضع عليهم الجزية على ما كانوا عليه قبل الإسلام، فلما عزم يزيد بن مسلم على ذلك اجتمع رأي أهل إفريقية على قتله، فقتلوه وولّوا عليهم الوالي الذي كان قبله، وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إنا لم نخلع أيدينا من طاعة، ولكن يزيد بن مسلم سامنا ما لا يرضاه الله والمسلمون فقتلناه، وأعدنا عاملك".

فشراك الوهم الذي نتبضعه كلما أقنعنا أنفسنا أن النحل الخارجية التي رسمت حضوتها بين فئات مجتمع إفريقية هي من أيقضت فيهم حماسة التراب والثورة ضد حكم الولاة، يزول وينقشع أمام أجل مواقفهم التاريخية حين أعادوا محمد بن يزيد مولى الأنصار عاملا عليهم ولم يخلعوا عن أنفسهم الطاعة للخليفة، فأبلغ التصورات التي نأخذها كتحليل نفسي لرد أفعال المجتمع وكمبرر تاريخي؛ قد تترجم في تلك المساوامات النرجسية التي تعرض لها البربر، وذلك من خلال محاولة يزيد بن مسلم معاملتهم كما يعامل ملوك الروم حرسهم من خلال وشم أيديهم، وهناك نص صريح يمكن ان نقدمه كدليل تاريخي فقدمها سنة اثنتين ومائة، فمكث أشهرا وحرسه البربر خاصة، ليس فيهم أحد من البرانس، فقام يزيد بن أبي مسلم خطيبا على المنبر، فقال: " أيها الناس، إني قد رأيت أن اسم حرسي في أيديهم، كما تفعل ملوك الروم بحرسها، فأسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره (حرسي) ليعرفوا في الناس بذلك من غيرهم، فإذا دفعوا إلى أحد أسرع فيما أمرته به، فلما سمع ذلك حرسه اتفقوا عليه، وغضبوا وقالوا (جعلنا بمزلة النصارى)، ودبّ بعضهم إلى بعض وتعاقدوا على قتله، فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب قتلوه في مصلاه".

فأبكر الإنطباعات التي تشكلت في أذهان أفراد مجتمع المغرب الإسلامي، قد لا تكون تمثيلا دقيقيا للمشاهد التي يتصورونها في مواقفهم الآنية تلك، ولكن قد يتناسب مقدار مصداقيتها مع مقدار شمولية الإستجابة لها، فمفاهيم القوة والاضطهاد والإخضاع بالنسبة إليهم تتلود من رحم السلطة، ففيم هم آخذين بالتفكير المطرد في كيفية التعامل مع الظروف والمتغيرات المستحدثة، قد يتملكهم شعور بأن صراعهم الذي خلقوا من أجله بدأ حين ولدت السلطة، وعلى هذا الأساس فإنّ المقايضة بين إخفاء ضعفه وبؤسه وشقائه وبين نبل أسياده واستقوائهم واستعلائهم عليهم تكون حتما مبادلة غير مكتلمة محكوم عليه بالفشل.

إن الحالة الإجتماعية لسكان المغرب الإسلامي لتقف عاجزة أن تبلغ الذروة، فيما هي آخذة بتشكيل كيان مجتمعها منذ أن وطأت أقدام الفاتحين أرضهم، إذ أن موقفهم من الدين الإسلامي في أغلب المواقف لم يكن أقل وضوحا مما هي عليه اليوم، بينما يكون من الطبيعي أن تتسلل أفكار ونحل خارجة إلى البلاد الجديدة تبحث فيه عن مستقر لها، ومن البديهي أن تحتضنه بعض

الفئات التي ينتابها الفضول للاحتكاك بثقافة الغير، غير أننا لا نعمم ذلك بوجه حتمي، ونحن نقصد من وراء هذا التلميح إلى أن الحركات الخارجية التي وفدت إلى بلاد المغرب الإسلامي في نهاية القرن الأول الهجري أو بداية القرن الثاني الهجري؛ بقيادة عكرمة مولى ابن العباس الصفري رفقة الداعية الإباضي سلمة بن سعيد، لم تكن بتلك الصورة التي يقدمها لنا نص عبد الرحمان ابن خلدون من خلال قوله:" ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقلة من منبعها بالعراق، وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الإباضية والصفرية ".

فدعاة المذاهب الخارجية على ما يبدو لم تُقبل دعوتهم في بداية الأمر من قبل أهل إفريقية، وربما يكون النص الذي أورده ابن الأثير دليلا على ذلك حيث يقول: "ثم لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب إليهم (دعاة) أهل العراق فاستشاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم إلى اليوم، وكانوا يقولون: لا نخالف الأئمة بما تجني العمال، (ولا نحمل ذلك عليهم). فقالوا لهم: إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك. فقالوا: حتى نخبرهم..."، ويمكن أن نستشعر تذمر البربر من سياسة الولاة الأمويين في بلاد المغرب الإسلامي في الشكوى التي قدمها وفد من البربر بزعامة ميسرة المطغري للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بعد أن منعوا من رؤيته من قبل الأبرش معبرين فيه عن سخطهم: "أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا غنمنا نفلهم ويقول: "هذا أخلص لجهادكم"، وإذا حاصرنا مدينة قدمنا وأخرهم ميقول: "هذا ازدياد في الأجر ومثلنا كفى إخوانه، ثم إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقّرون بطونها عن سخالها ويطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد فاحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا؟" ونتيجة لهذه التجاوزات اقتنع أهل إفريقية بدعوة الخوارج واحتضنوا أفكارهم التي تجعل من العرب والأمويين مغتصبين للحكم بداية من عثمان بن عفان، وأن الخروج عليهم حق وواجب لأنهم سلبوا أرضهم وممتلكاتهم ونساءهم، وأن من حق كل بربري تولي منصب الخلافة.

2- ثورات البربر:

أولا: ثورة ميسرة المطغري سنة 122هـ/ 740م: لقد أظهر زعماء الصفرية مهارة في اختيار مكان إنطلاق ثورتهم، فقد وقع إختيارهم على طنجة الواقعة في المغرب الأقصى البعيدة عن قاعدة إفريقية، مستغلين في ذلك خروج جيش الولاية إلى صقلية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة، وقد تجمع الصفريون على "ميسرة المطغري" أو"المدغري" "المدغوري" المعروف بميسرة السقاء لأنه كان يبيع الماء بسوق القيروان، والرويات تختلف حول أصل ميسرة قائد ثورة الصفريين، فتذهب بعضها إلى أنه من أصل عربي وتنسبه إلى قبيلة الأزد، بينما تؤكد الأخرى –وهي الأرجح- إنتماءه إلى قبيلة مطغرة البربرية، كما اختلف حول كنيته، فقيل ميسرة الحقير، أو الحفيد وقيل الفقير، ويخيل إلينا أن ذلك من نسج خصومه تحقيرا لشأنه، أو ربما أخطاء وردت من قبل النساخ في تهجئة إسمه بطريقة صحيحة، وانظمت إليه بربر مكناسة وبرغواطة بزعامة صالح بن طريف، كما انضم إليه الأفارقة في طنجة بزعامة عبد الأعلى بن جريج وبايعه البربر أماما لهم.

لقد زحف ميسرة ومن معه إلى إقليم طنجة فقتل عاملها عبد الله المرادي وولى مكانه عبد الأعلى جريج الإفريقي "الرومي الأصل" مولى بن موسى بن نصير، ثم سار إلى السوس وقتل إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقية، ولما سمع عبيد الله بن الحبحاب بثورة ابن ميسرة؛ ولاحتواء الموقف سير إليهم جيشا بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري، ولخطورة الأمر استدعى جيش والده حبيب بن أبي عبيدة المرابط بصقلية وعزز به الجيش الأول، والتقى الجيشان قرب الشلف وآثر جيش حبيب بن أبي عبيدة البقاء هناك ولم يبرحه، فيما التقى جيش خالد بن حبيب مع جيش ميسرة بالقرب من طنجة، غير أن المعركة لم تحسم لأي طرف مما حتم على ميسرة التراجع والانسحاب، لقد أنكر عليه البربر فعلته هذه وسوء سيرته فثارو عليه وقتلوه وولو عليهم خالد بن حميد الزناتي، لكن الحقيقة تبقى نسبية غير مكتملة عن الأسباب الحقيقة وراء خروج البربر عن طاعة ميسرة المطغري وأسباب مقتله، إذ أن المصادر لم تقدم لنا نصوصا مفصلة عن ذلك، وما نعرفه حقا هو إفتراق أصحابه وقواده بعد مقتله ومنهم مغرور بن طالوت وطريف أبو صالح الذي نزل بتامسنا.

ثانيا: معركة الأشراف سنة 123ه/741م: بعد إفتراق أصحاب وقواد ميسرة المطغري الذين كانوا عونا له في توحيد القبائل البربرية تحت إمرته، لم يقلل ذلك الإفتراق من عزيمته زعيمهم الجديد خالد بن حميد الزناتي على إعادة توحيد القبائل من جديد وتنفيد مخططات جديدة وإعلان ثورة أخرى، فراح يرسم خطته العسكرية حيث شغل خالد بن حميد الزناتي بقسم من جيشه جيش خالد بن حبيب الفهري، بينما فاجأه بقسم آخر من خلف ليعيق إتصاله بجيش حبيب بن أبي عبيدة المرابط عند وادي شلف، وهناك إختلاف في موقعة حدوث العركة غير أن الرأي الأكثر ترجيحا وتداولا بين المؤرخين أنها وقعت بأحواز طنجة، غير أن المتفق عليه أن المعركة سميت بـ"معركة الأشراف" لشرف وعظم ومكانة من قتل فيها من حماة العرب وفرسانها وأبطالها وقتل فيها خالد بن حميد الزناتي، كما أدت هذه المعركة إلى تشجيع جموع البربر إلى الإنضمام إلى الثورة وتوسعت دائرة الثورة في بلاد المغرب الإسلامي حتى بلغت أخبارها أهل الأندلس وقاموا بعزل الوالي عليهم عقبة بن الحجاج، ولما وصلت الأخبار إلى هشام بن عبد الملك استدعى عبيد الله بن الحبحاب وعين على ولاية المعرب كلثوم بن عياض القشيري سنة 123ه/ 741م.

ثالثا: معركة بقدورة سنة 124ه/ 742م: لقد استهل والي بلاد المغرب الجديد "كلثوم بن عياض القشيري" بالتوجه لقتال خالد بن حميد الزناتي، بحيث سير الخليفة الأموي هشام مع عبد الملك إثنا عشر ألف جندي من الشام، وكتب إلى سائر ولاة المناطق التي يمر بها في طريقه تأمرهم بإمداده بالجيوش على حسب ما تذكر بعض المصادر، وما يمكن أن نلاحظه هو أن بوادر الضعف والإخفاق بدأت تلوح في الأفق، فمن جهة كان جيشه غير متناسق وغير متجانس ومتآلف، إذ كانت عناصره مختلطة من القيسية واليمنية والمتطوعين والأمويين، ومن جهة أخرى احتدم الصراع بين كلثوم وقائد جيشه "بلج بن بشر بن صفوان" وبين حبيب بن أبي عبيدة الذي كان موافقا للبربر بتلمسان.

إلتقى الجيشان الأموي مع جيش خالد بن حميد الزناتي بالقرب نب طنجة بمكان يسمى "بقدروة" سنة 124ه/ 742م على واد نهر سبو، انتهت بهزيمة الجيش الأموي بسبب أخطاء تكتيكية عسكرية بالإضافة إلى التفوق العددي للجيش الصفري حسب ما يذكر صاحب كتاب "أخبار مجوعة"، فقتل ثلث الجيش الأموي ومن بينهم كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبيدة، أما

بلج فقد تمكن من الفرار بمن بقي من الجيش نحو طنجة على رأس عشوة آلاف جندي وعادت فلول الجيش المتبقى إلى إفريقية بعشرة آلاف جندي كذلك.

رابعا: ثورة عكاشة بن أيوب الفزازي وعبد الواحد بن يزيذ الهواري: بعد الهزيمة التي حلت بالجيش الأموي في معركة بقدورة سنة 124هـ/ 742م أدرك الخليفة هشام بن عبد الملك أن المسألة تحتاج إلى مدد كبير وإلى قواد أكفاء لمواجهة الخطر الصفري المتنامي؛ الذي بات يشكل عبءً كبيرا ونذير شؤم بخروج المغرب الإسلامي والأندلس عن طاعة الخليفة، لذلك وجه ثلاثين ألف من الجند إلى عامله على مصر "حنضلة بن صفوان"، وما يمكن أن نلحظه هو أن شخصيتين برزتا على مسرح الأحداث وشجتهما الإنتصارات التي حققتها المعارك الصفرية السابق، وهما عكاشة بن أيوب الفزازي وعبد الواحد بن يزيذ الهواري وقد عملا بالتنسق معا لاحتلال مدينة القيروان.

حاول حنضلة بن صفوان الكلبي مقاتلة كل طرفع على حدة، فأسرع إلى لقاء عكاشة الصفري بموضع قرب القيروان يسمى "القرن" ووقعت بينهما معركة انتهت بهزيمة الجيش الصفري، ثم أسرع حنضلة بالدخول إلى القيروان خشية أن يحتلها عبد الواحد بن يزيد الهواري وكون جيشا من أربعين ألف مقاتل بعدما استنفر أهل أفريقية على القتال ووزع عليهم المال والسلاح للدفاع عن مدينتهم، وبعد حروب سجال وقعت بين الجيشين الأموي والصفري في باجة، كانت المعركة الفاصلة في موقع يسمى "الأصنام" كانت فيه الغلبة والإنتصار للجيش الأمري بقيادة حنظلة ومقتل عبد الواحد بن يزيد الهواري، وأخذ عكاشة أسيرا بعدما تم القبض عليهم في نواحي إفريقية من قبل البربر المناوئين للجيش الأموي وأتوا به حنظلة فقتله.

كان إنتصار حنظلة بن صفوان الكلبي في معركة "القرن و الأصنام" تحولا وتحقيبا تاريخا جديدا في تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس من السقوط والزوال في يد الصفرية التي ما انفكت تتعاظم، وفي نفس الوقت أعطى دفعة قوية للمذهب السني الذي أصبح المجال مفتوحا أمامه للإنتشار واستقطاب كثير من المريدين والأتباع.

خاتمة: وما يمكن أن نقوله إلى غاية كتابة هذه الأسطر هو أن تلك الثورات الصفرية غيرت كثيرا من ملامح وضروب عيش المجتمع البربري، إذ أنه مباشرة بعد إخماد هذه الثورات قلت الأفكار الخارجية المتطرفة وأصبح إحتاضنها قائما على أسس ومبادئ تتوافق مع مبدأ التعايش وظهر مجوعة من الدويلات المستقلة "سنية وصفرية وإباضية"، غير أن المذهب الصفري سرعان من تلاشى مع انهيار وسقوط دولة بني مدار بسجلماسة، ولم يبق اليوم في هذه المنطقة أثر للأفكار الخارجية الصفرية بسبب ما كانت تتصف به من أفكار تطرفية وخروج عن الجماعة.

المغرب ②
المغرب فى عصر الولاة
عصر الولاة للمغرب الأوسط من سنة ٩٥ هـ - ٧١٤ م الى سنة ١٦٤ هـ - ٧٨١ م
عصر الولاة للمغرب الأقصى من سنة ٩٥ هـ - ٧١٤ م الى سنة ١٧٢ هـ - ٧٨٨ م
عصر الولاة لأفريقية من سنة ٩٥ هـ - ٧١٤ م الى سنة ١٨٤ هـ - ٨٠٠ م
حدود ولايات المغرب الأربع فى نهاية العصر الأموى سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م
حدود عمالات ولاية أفريقية الثلاث (طرابلس وأفريقية والزاب)
حدود ولاية أفريقية عند بداية العصر العباسى وهى أقصى حدود دولة بنى العباس غربا
ولاية برقة كانت داخلة فى زمام ولاية مصر
بحر الظلمات
الأندلس
البحر الشامى
بحر الروم
اليونان
دولة الروم
صقلية
قرطبة
إشبيلية
غرناطة
مالقة
المرية
قرطاجنة
شلب
قادش
جزيرة سردانية
ولاية المغرب الأقصى
ولاية المغرب الأوسط
ولاية سجلماسة
ولاية أفريقية
عمالة الزاب
عمالة أفريقية
عمالة طرابلس
إقليم تاهرت
إقليم تلمسان
إقليم برقة
فاس
مكناس
آنفا
آسفى
طنجة
سبتة
أصيلا
تطوان
مليلة
وهران
تلمسان
تاهرت
شرشال
دلس
بجاية
جيجل
سطيف
قسنطينة
بسكرة
طبنة
تبسة
نفطة
توزر
قفصة
توجروت
القيروان
سوسة
المهدية
صفاقس
قابس
تونس
بونة
طبرقة
جزيرة جربة
صبرة
طرابلس
غريان
مزدة
غدامس
جبل نفوسة
الأغواط
غرداية
فجيج
تافللت
أوالسوس
تارودانت
تزنيت
جبال أطلس الصحراء
وادى درعة
واركلا
الصحراء الكبرى
ودان
فزان
سبها
زويلة
مرزق
جرمة
غات
مصراتة
سرت
خليج سرت
برنيق (بنغازى)
طوكرة
طلميثة
سوسة
درنة
طبرق
أجدابية
أوجلة
واحة جالو
واحة الكفرة
الجوف
تازربو
كاوار
بلمو
القطرون
مقياس الرسم ١ : ١٠٥٠٠٠٠٠